ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر: قراءة نقدية

إعداد

د/ عمر بن مساعد الشريوفي

أستاذ الفلسفة المشارك، قسم الدراسات الإسلامية

كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة سدير

جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية

ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر: قراءة نقدية

عمر بن مساعد الشريوفي
قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم والدراسات الإنسانية بحوطة سدير، جامعة المجمعة، المملكة العربية السعودية .
البريد الالكتروني: Maka200016@yahoo.com

ملخص:
هدفت الدراسة بيان ملامح الاستشراق التي تشكلت بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ليسهل فهمها، والتعامل معها، وتحديد المواقف تجاه المنتوج الاستشراقي. ويصاحب توضيح تلك الملامح نقد علمي لتلك الملامح. يتبنى الباحث المنهج الوصفي لتوضيح ملامح الظاهرة الاستشراقية، والمنهج النقدي لنقد ملامح الظاهرة الاستشراقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. تركزت دراسة الملامح للظاهرة الاستشراقية بصورة أكبر على الاستشراق الأمريكي، وذلك لوقوع الأحداث في محيطها الجغرافي، ولقيادة الاستشراق الأمريكي لغيره من أنواع الاستشراق الغربي. اشتمل النقد الموجه للملامح على نقد المناهج والمواقف المعبرة عنها. أدرجت في الحاشية تعريفًا لكل مستشرق أو مهتم بدراسات الشرق الأوسط ورد اسمه في متن البحث. وأبرز ما توصلت إليه الدراسة من نتائج: مرت الظاهرة الاستشراقية بحركة نقد كبيرة في التاريخ الحديث، أكدت نتائج البحوث لكثير من العلماء المسلمين الذين رفعوا لواء الرد على المستشرقين القدماء. الظاهرة الاستشراقية تمثل فرصة جيدة للمراجعة الفكر الإسلامي، وتقويمه، وتنقيحه. مازال الارتباط بين الاستشراق والدوائر السياسية سائدًا إلى الآن في الظاهرة الاستشراقية. عدم دقة كثير من تنبؤات المستشرقين حول الشرق المسلم. دراسة الظاهرة الإستشراقية في العصر الحالي يسهم في تفسير كثير من الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية للقوى الغربية تجاه الشرق المسلم. من أبرز ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تبني الدوائر السياسية لنتائج بحوث المستشرقين المعاصرين، ودمجها في القرارات العسكرية والأمنية.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق الغربي، المستشرقين، أحداث الحادي عشر من سبتمبر، نقد التراث.

Features of Orientalism after the events of September 11: A critical reading

Omar bin Musaed Al Sharifi
Department of Islamic Studies, College of Science and Human Studies in Hotat Sudair, Majmaah University, Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail: Maka200016@yahoo.com

Abstract:

The study aimed to show the features of Orientalism that were formed after the events of September 11th, to make it easier to understand and deal with them, and to determine the attitudes towards the Orientalist product. The clarification of these features is accompanied by a scientific criticism of these features. The researcher adopts the descriptive approach to clarify the features of the Orientalist phenomenon, and the critical method to criticize the features of the Orientalist phenomenon after the events of September 11th. The study of the features of the Orientalist phenomenon focused more on American Orientalism, due to the occurrence of events in its geographical surroundings, and American Orientalism's leadership in other types of Western Orientalism. The criticism of the features included criticism of the curricula and the attitudes expressed about them. I included in the footnote a definition of each orientalist or interested in Middle Eastern studies whose name was mentioned in the body of the research. The most prominent findings of the study are: The Orientalist phenomenon has undergone a major criticism movement in modern history, which confirmed the research results of many Muslim scholars who raised the banner of response to the ancient Orientalists. The Orientalist phenomenon represents a good opportunity to review, evaluate, and refine Islamic thought. The link between Orientalism and political circles is still prevalent in the Orientalist phenomenon. The inaccuracy of

many orientalists' predictions about the Muslim East. The study of the Oriental phenomenon in the current era contributes to the interpretation of many of the political, military and economic practices of the Western powers towards the Muslim East. One of the most prominent features of Orientalism after the events of September 11th is the adoption by the political circles of the results of contemporary Orientalists' research, and their incorporation into military and security decisions.

Keywords: Western Orientalism, Orientalists, the events of September 11th, criticism of heritage.

مقدمة:

تشكلت ظاهرة الاستشراق عبر عصور التاريخ الغربي المتتالية وفقًا لأحداث وظروف ومتغيرات فرضت فرزًا لنتائج المعرفة الغربية المؤدية للسيطرة على فكر ومقدرات الشرق. ومن نافلة القول إن هذا التشكل تتغير فيه الأهداف والتكوينات العلمية والآليات والطرق والأساليب المتبعة لدراسة الشرق ومعرفته بالتناغم مع التغيرات الحادثة في العالمين الغربي والشرقي، ونتج عن ذلك أنه ما كان مقبولا سابقًا في صورة الاستشراق سواء على مستوى المناهج والموضوعات والأساليب أضحى مرفوضًا في صورة الاستشراق الحديث، بل تم إعلان القطيعة معه، والخروج من طبيعة المفهوم والمجال إلى مفاهيم أخرى ومجالات متنوعة. ومن صور التبدل على مستوى المفهوم ما تم إعلانه من قطيعة مع مفهوم الاستشراق القديم في المؤتمر التاسع والعشرين للمستشرقين الذي عقد بباريس عام ١٩٧٣م والتخلي عن مصطلح مستشرق، واستبداله بمصطلح المتخصصين في الدراسات الشرقية أو الشرق أوسطية (لويس، ترجم ٢٠١٧م). ومنطلق التخلي عن المفهوم القديم كانت له مبررات كثيرة بعضها تشكلت في الشرق نفسه والبعض الآخر تشكلت في الغرب، فالأولى مثل حركات التحرر العربية، واتجاهات التجديد الدينية، والحركات الإسلامية. أما الثانية فهي ظهور وبزوغ نجم الدراسات الاجتماعية في الغرب، وتغير مناهج البحث الغربية، وتواتر دراسات نقد التراث الاستشراقي القديم.

واستمرت ظاهرة الاستشراق بالتغير والتبدل بدءً بالمفهوم مرورًا بالمناهج وانتهاءً بالنتائج وفق المتغيرات والتحديات التي فرضت على الدراسات الغربية تغيير آلياتها ومناهجها في دراسة الشرق؛ علومه، وتاريخه، وأديانه، وحضارته، وشعوبه. واستمر التغير في الظاهرة مستمرًا حتى أحداث الحادي عشر من سبتمبر لعام ٢٠١١ م المتمثلة بالهجوم على مبنى التجارة العالمي ووزارة الدفاع الأمريكية من قبل متشددين مسلمين، وما تلاه من حراك عاصف في الولايات المتحدة الأمريكية تبعه حراك كبير في المجتمع الغربي بأكمله، لما يمثله هذا الهجوم من اعتداء ذي رمزية تاريخية كشف عن تغير غير مرغوب فيه في الشرق من وجهة نظر الغرب، مما حتم عليهم الوقوف عنده ودراسته، وتغيير مناهج معرفة الشرق سيما الإسلام والمسلمين، ومرتكزات الدراسات الغربية حول الإسلام والشرق عمومًا. لذا توالت الأصوات الغربية الداعية بضرورة تغيير منهج التوجه نحو الشرق ليشمل التغيير التوجه العلمي، والعسكري، والاقتصادي، والمعرفي. ونادت بعض الأصوات بزيادة المخصصات المرصودة لدراسة العرب والمسلمين (لوكمان، ٢٠٠٨) ، سيما معرفة لغات الشعوب الإسلامية. وأضحت في الغرب- في أمريكا على وجه الخصوص - بعض المراكز المهتمة بدراسات الشرق الأوسط أكثر التصاقًا بالدوائر السياسية الأمريكية، ووظفت - ووجهت في ذات الوقت- تلك الدوائر طبيعة دراسات المستشرقين تجاه الإسلام والمسلمين في خدمة ومعرفة طبيعة التحولات في الشرق الإسلامي لتفسير مبررات الهجوم على مبنى التجارة، وكيفية

الحد من الهجمات مستقبلا، ومحاولة لفرض معادلة السلطة والمعرفة للسيطرة على الشرق مرة أخرى.

وذلك كله يؤكد بدء صورة جديدة من الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تختلف في الأدوات والوسائل والموضوعات المبحوثة والمناهج المتبعة، تستمد من الإرث السابق دوافعها، وأهدافها، وتختلف عنه في مناهجها، وأدواتها.

ويأتي هذا البحث" ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر" ليوضح للقارئ والباحث في مجال الاستشراق الملامح التي تشكلت بعد الأحداث، ليسهل فهمها، والتعامل معها، وتحديد المواقف تجاه المنتوج الاستشراقي. ويصاحب توضيح تلك الملامح نقد علمي لتلك الملامح.

والله أسأل التوفيق والسداد وأن يحقق البحث الأهداف المرجوة منه، وأن يكون إضافة في مجال نقد الظاهرة الاستشراقية.

أسئلة البحث الرئيسة:

يجيب البحث عن الأسئلة الآتية:

١.ما ملامح الظاهرة الاستشراقية من النشأة وحتى نهاية القرن العشرين.
٢.ما ملامح الظاهرة الاستشراقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٣.ما النقد الموجه لملامح الظاهرة الاستشراقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

منهج البحث:

١.يتبنى الباحث المنهج الوصفي لتوضيح ملامح الظاهرة الاستشراقية، والمنهج النقدي لنقد ملامح الظاهرة الاستشراقية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٢.تركزت دراسة الملامح للظاهرة الاستشراقية بصورة أكبر على الاستشراق الأمريكي، وذلك لوقوع الأحداث في محيطها الجغرافي، ولقيادة الاستشراق الأمريكي لغيره من أنواع الاستشراق الغربي.
٣.اشتمل النقد الموجه للملامح على نقد المناهج والمواقف المعبرة عنها.
٤.أدرجت في الحاشية تعريفًا لكل مستشرق أو مهتم بدراسات الشرق الأوسط ورد اسمه في متن البحث.

الدراسات السابقة:

١.دراسة " حول الاستشراق الجديد: مقدمات أولية. ١٤٣٥هـ، للباحث عبد الله بن عبد الرحمن الوهيبي. تناول فيه الباحث ملامح الاستشراق الحديث والنقد الموجه له، وأفرد جزءا عن الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
٢.دراسة " الإسلام الذي يريده الغرب: قراءة في وثيقة أمريكية " ١٤٣٤هـ، وهي عبارة عن رسالة ماجستير للباحث صالح بن عبد الله الغامدي. تناول فيه تحليل

وثيقة من مؤسسة راند بعنوان " إسلام حضاري ديموقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات" حلل فيه الوثيقة ورد على مواقفها تجاه القرآن والسنة النبوية، وناقش المعالجات المقترحة فيها.

٣.دراسة " تاريخ الاستشراق وسياساته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط. ٢٠٠٧ م ، للباحث الأمريكي زكاري لوكمان، تناول فيه تاريخ الاستشراق الطويل ومقارباتهم في فهم الشرق عامة والمسلم منه خاصة، والنقد الموجه للفهم الغربي، وتناول من ضمن مراحل الاستشراق المرحلة التي أعقبت أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

٤.دراسة " أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس" للمستشرق المخضرم برنارد لويس، (٢٠١٣ م)، تناول فيه المستشرق تاريخ المسلمين الطويل وحاول البحث عن جذور الإرهاب في تلك المراحل وصولا للأحداث المعاصرة سيما ما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

والدراسات السابقة أفدت منها كثيرًا، وتلتقي مع البحث في ذكرها لمرحلة الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ويتمايز البحث عنها في تركيزه على تلك الحقبة الاستشراقية.

المبحث الأول

ملامح الاستشراق من النشأة إلى التحديث.

– هوية مصطلح الاستشراق:

كان ولا يزال مفهوم الاستشراق محل اختلاف وتجاذب فكري عبر مراحله المختلفة، بدءا من هويته وطبيعته التي تميزه عن غيره من العلوم والحركات والاتجاهات والظواهر، ومرورًا بأغراضه ودوافعه التي شكلت نتائجه، وشكلت رد الفعل تجاه قبولها أو رفضها، وانتهاءً بملامحه المتغيرة بتغير العصور والتحديات والمتغيرات السياسية، والدينية، والعلمية وغيرها.

لذا تباينت الآراء في تسمية هوية الاستشراق وطبيعته، فتارة يُطلق عليه علمًا كما عرفه "ميشال جحا" (١٩٨٢م) بأنه علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. وتارة يُطلق عليه نمط كما يعرفه " ادوارد سعيد" بأنه " نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه" (سعيد، ١٩٩٥م، ص ١٢٠)، وتارة يُطلق عليه مصطلح اتجاه باعتبار مصدره (وزان، ١٤٠٤ هـ)، وباعتبار مصدره أيضًا يُطلق عليه مصطلح دراسة حيث يعرفه " النملة " بأنه " تصدر علماء غير مسلمين من الشرق أو الغرب لدراسة علوم المسلمين وحضارتهم ومعتقداتهم وتقاليد شعوبهم " (النملة،١٤١٤ هـ، ص٢٧)، وأطلق " ساسي" عليه مصطلح ظاهرة(٢٠٠٢ م) ، وسوغ ذلك بأننا لا يمكن أن نسميه علمًا نظرًا لشمول اهتمامه بكل ما يتعلق بالشرق، وعدم التخصص في مجال واحد من مجالات الشرق المتنوعة كما أنه لا يتمتع بالديمومة والثبات كغيره من العلوم، وبذلك لا يمكن أيضًا أن نسمي من يهتم بالشرق وعلومه بالعالم بعلوم الشرق؛ لأن المستشرقين لم يكونوا كلهم علماء بل كان منهم الباحثون والفنانون والعسكريون والمبشرون وغيرهم. ويبرر أيضًا بأنه ليس اتجاهًا أو نمطًا لأن النمط والاتجاه يركز على الدوافع والأغراض، وتناول الاستشراق من ناحية دوافعه وأغراضه لا يمكن أن ينطبق على جميع إنتاج المستشرقين.

ولكل رأي وجاهته ومسوغاته المنطقية، ولكن يظل تحديد هوية الاستشراق محل جدل واختلاف بين المهتمين به، وإن كان لمصطلح ظاهرة الاستشراق قبولاً أكثر – من وجهة نظري- للمسوغات الآتية:

١.النظرة الشاملة لإنتاج المستشرقين عبر العصور والمراحل المختلفة تفرض صعوبة إطلاق وصف محدد كعلم أو أسلوب أو نمط أو اتجاه أو غيره، لكونه ظاهرة تم رصدها منذ أن كان الشرق والغرب، وبدوافع وأساليب مختلفة، وبمعدلات تغير وتبدل كبيرة ترتبط بأحداث ومتغيرات آنية وتاريخية ومستقبلية.

٢.مصطلح ظاهرة يعلو بمفهوم الاستشراق عن كونه علمًا فقط أو نمطًا إلى كونه اهتمامًا يشمل كل ذلك، فبعض إنتاج المستشرقين يصدق عليه وصف العلم والبعض الآخر

يصدق عليه وصف النمط والأسلوب والطريقة، ولكن لا يمكن أن يشمل أي من تلك الأوصاف جميع ما أنتجه المستشرقون، مما يرجح كونه ظاهرة اهتمام من الغربيين بالشرق وعلومه، وعادات شعوبه ومعتقداته وفنونه وأساطيره .

٣.تباين المجالات التي اهتم بها المستشرقون، والمناطق الجغرافية في الشرق التي تناولها المستشرقون في إنتاجهم، تجعل من الصعب إطلاق وصف محدد على عمل المستشرقين.

- ملامح الاستشراق من نشأته إلى القرن الثامن عشر الميلادي:

(١) مرحلة صراع الإمبراطوريات قبل الميلاد:

حصل الاتصال ما بين الغرب والشرق نتيجة للصراع بين الإمبراطورية اليونانية والفارسية، وكانت الغلبة في بداية الأمر للإمبراطورية الفارسية، ولكن تداولت الأيام واستطاعت الإمبراطورية اليونانية الاستيلاء على نفوذ الإمبراطورية الفارسية في القرن السادس قبل الميلاد وكعادة اليونانيين تغلبت روحهم الاستكشافية والعلمية على روحهم العسكرية فقاموا باكتشاف الشرق، وزيارة أراضيه كمصر والشام وبلاد الرافدين والجزيرة العربية، وقام اليونان بتسجيل معارفهم عن الشرق، ومنهم المؤرخ اليوناني الشهير" هيرودوتس" الذي كتب عن الشرق وأساطيره وملاحمه.

ثم جاء القرن الرابع للميلادي وفيه برز نجم " الإسكندر المقدوني" الذي فكر في احتلال الجزيرة العربية (علي، ١٩٦١م) بعد أن استولى على بلاد مصر والهلال الخصيب، فبنى اسطولاً بحريًا للوصول إلى البحر الأحمر والاستيلاء على الجزيرة العربية، وكان ضمن هذا الاسطول علماء اهتموا بدراسة المناطق التي مر بها الاسطول وسجلوا الكثير من المعارف عنها، وعن تصوراتهم ومعتقداتهم حول الشرق وعادات شعوبه، ونقلوا الكثير من الألواح عن الشرق من بلاد بابل إلى اليونان لدراستها ومعرفة الشرق بصورة أعظم، وكان من نتائج التعرف اليوناني على الشرق تأثر بعض شعوب الشرق بالثقافة اليونانية وهو ما يبدو جليًا في الإسكندرية.

وبعد موت الإسكندر المقدوني وتضعضع إمبراطوريته استولى الرومان على نفوذ اليونان في الشرق، فامتد نفوذهم من المحيط الأطلسي غربًا إلى الصحراء السورية العربية شرقًا، وكان تأثير النفوذ الروماني تأثيرًا عسكريًا إداريًا، ولم يكن ثقافيًا، وهو ما يتجلى في أن الرومان قد اعتنقوا فكر اليونان، وكان للإسكندرية عاصمة الثقافة اليونانية في الشرق أثر واضح في فكر الرومان وديانتهم.

ولسنا في صدد السرد التاريخي لتعاقب صراع الامبراطوريات على الشرق، ولكن لتوضيح الاتصال الغربي بالشرق قبل الميلاد. وكان لهذه الحقبة ملامح بارزة تمثلت في الآتي:

١.كان الشرق في هذه الحقبة مفعولاً لا فاعلاً، مغزوًا لا غازيًا، متأثرًا بفكر غازيه لا مؤثرًا فيه، ومادة لدراسة واكتشاف الغزاة القادمين من الغرب والشرق، يشكلون صورته وفق ما يعتقدونه.
٢.تبين في هذه الحقبة أن الشرق مطمع قديم للغرب، يسعى دائمًا للسيطرة عليه، ومعرفة طبيعته.
٣.في هذه الحقبة وصل المستعمر قبل المستشرق، فكان الاستعمار ممهدًا للمهتم بدراسة الشرق لاستكشافه ودراسته. وهو عكس بعض الحقب حيث كان المستشرقون هم طلائع المستعمرين.
٤.شكلت هذه الحقبة منهجًا للمستعمرين اللاحقين، فما قام به الإسكندر عند غزوه للشرق من إتاحة الفرصة للعلماء المهتمين بدراسة الشرق بإجراء الدراسات والاكتشافات عنه سار على نهجه نابليون بونابرت عند غزوه للشرق سيما مصر، حيث رافق الحملة الفرنسية على مصر حملة موازية ثقافية وعلمية كان لها نتاج متعدد عن مصر؛ جغرافيتها، ودينها، وعادات شعبها.

(٢) مرحلة الباعث الديني:

انتشرت المسيحية في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وبلغت مداها إلى نفوذ الإمبراطورية في الشرق، ووجدت سبيلها إلى الجزيرة العربية، وتنصر بعض القبائل العربية من خلال التجار والمبشرين المسيحيين. واستمرت المسيحية مع غيرها من الأديان الأخرى في الشرق، وكان التماس المعرفي محدود مقارنة مع بداية العهد الإسلامي، سيما عصر الفتوحات، وخروج المسلمين من جغرافية الجزيرة العربية، ووصولهم إلى حدود أوربا الغربية، حيث استنفرت الكنيسة جهودها لاكتشاف ومعرفة الشرق المسلم وديانته، سواء في الجزيرة العربية، أو في أسبانيا المسلمة، وبرز نجم بعض قادة الكنائس المسيحية الذين دعوا إلى معرفة الشرق المسلم، ودراسة معتقداتهم وثقافاتهم، سيما بعد الفتوحات الإسلامية وانتزاع المسلمين لكثير من نفوذ الإمبراطورية الرومانية في الشرق، ومن أبرز القادة المسيحيين الذي تبنوا الدعوة إلى معرفة الإسلام وكتبه ومعتقداته " بطرس المبجل" [١] (١٠٩٢- ١١٥٦ م) رئيس دير كلوني، حيث عني بأحوال المسيحيين تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا، وهو أول من أمر بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، بغية فهمه، ثم الرد عليه ثانياً، وأنجزت هذه الترجمة عام ١١٤٣م ، وقد صرّح بطرس المبجل بالهدف من وراء ترجمته للقرآن الكريم بقوله: "إذا بدا أن العمل الذي أدعو إليه غير ضروري الآن لأن العدو لن يتأثر بهذا السلاح... فإذا لم يكن

[١] بطرس المبجل (١٠٩٢-١١٥٦) راهب فرنسي، سلك طريق الرهبنة وتعلمها في دير كلوني، رحل إلى إسبانيا للوقوف على حال العرب المسيحيين، وكلف بعض المستعربين بترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية، انظر بدوي، موسوعة المستشرقين، ص٦٨.

بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السَّذّج، الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم" (ساسي ، ١٩٩١ م، ص ٤٤/١).

ونتيجة لهذا الاهتمام التبشيري بالإسلام، أنشئت في أوربا مدارس ومراكز وأقسام في الجامعات لتعليم العربية، ومطابع لترجمة الذخائر العربية إلى اللغات الأوربية، والقاسم المشترك الأغلب في إنشاء هذه المراكز والمدارس والأقسام أنها صدرت بتوجيه من الباباوات، حيث أمر البابا "سلفتستر الثاني" بإنشاء مدارس عربية في فرنسا، وأنشأ البابا " هونوريوس الرابع " معهدًا لتعليم اللغات الشرقية، عام ١٢٨٥ م ، وأمر البابا " كليمانس الخامس " بإنشاء كراسي للعربية والكلدانية في باريس وروما وانجلترا عام ١٣١١ م.

وأبرز ملامح هذه الحقبة الدينية الآتي:

١. أن المستشرقين كانوا طلائع للمبشرين في الشرق، وداعمين لمعرفته، وطرق السيطرة عليه. يقول " ميشال جحا": " وإن اختلفت أغراض هؤلاء المستشرقين إلا الرعيل الأول كان يهتم بالدراسات العربية والإسلامية لأهداف دينية أهما التبشير، وتأتي بعدها الأهداف الثقافية والتجارية والاقتصادية التي اهتم بها المستشرقون المتأخرون" (جحا، ١٩٨٢م، ص ٣٠)
٢. بالرغم من تغير أهداف الاستشراق عبر العصور المختلفة إلا أن هذه الحقبة أثرت في استمرار الدافع الديني لدراسة الشرق إلى مجموعات متأخرة من المستشرقين. ومن هؤلاء يقول " ميشال جحا" " وكان على رأس هؤلاء "بادويل" [١] الذي عين أستاذًا للغة العربية في أكسفورد... وتابعه في هذا

[١] وليم بادويل (١٥٦١- ١٦٣٢ م): تخرج من كمبريدج وعين استاذًا للعربية في جامعة اكسفورد، وعاون على ترجمة التوراة (١٦٠٤ م) واشتهر أنه رائد الدراسات العربية في بريطانيا. ومن آثاره المعجم العربي في سبعة أجزاء لم ينشره، واستفاد من معجمعه المستشرقون بعده. انظر: (العقيقي،١٩٦٤ م)

المضمار كلا من "أدوارد بوكوك" ١(١٦٠٤ – ١٦٩١) و" سيمون اوكلي ٢" (١٦٧٨ - ١٧٢٠) و" جورج سيل ٣"(١٦٩٧- ١٧٣٦) وغيرهم كثير"

٣.تميزت الحقبة بالتركيز على هدفين استشراقيين، الأول: إيقاف المد الإسلامي وتأثيره على المسيحيين وإيقاف دخولهم فيه، والثاني: تنصير المسلمين، من خلال تشويه تعاليم الإسلام، واعتبارها -على حد زعمهم- هرطقة دينية.

٤.تميزت هذه الحقبة بتداخل بعض الأهداف الأخرى للاستشراق -غير الدينية - كالأهداف العلمية أو الفنية، مع غلبة الهدف الديني على هذه الحقبة. حيث كان الشرق المسلم محط إعجاب كثير من الشبان المسيحيين، فتعلموا اللغة العربية وآدابها، واستخدمت كلغة فنية راقية (عاشور،١٩٧٦ م).

(٣) مرحلة الاستشراق العسكري والانفتاح الأوربي –

بدأت الحروب الصليبية كرد فعل كنسي تجاه انتشار الإسلام، وكانت بداية تلك الحملات الصليبية في القرن الحادي عشر الميلادي، واستمرت حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادي، وبغض النظر عن النتائج العسكرية لهذه الحملات وقسوتها، شكلت تواصل ثقافي بين الشرق والغرب، ومعرفة أعمق عن الإنسان الشرقي سيما المسلم، وما إن خفت حدة تلك الحملات، وانتهت بخروج آخر جندي صليبي عام ١٢٩١م ، حتى غادر العلماء المرافقون لتلك الحملات بلادهم يحملون الكثير من المخطوطات والكتب النادرة عن الإسلام والمسلمين والشرق عمومًا، شكلت هذه المحمولات تغيرًا في الفكر الغربي عن المسلمين، وتعديلاً في التصورات المشوهة عن الإسلام والمسلمين التي زرعها الجيل القديم للمستشرقين.

وبعد أن خبت جذوة الدافع الديني – إلى حين – في التعرف على الشرق المسلم، تعالت الأصوات بضرورة استبعاد الحل العسكري للسيطرة على الشرق، واستبداله بالحل

---

[١] ادوارد بوكوك (١٦٠٤-١٦٦٤ م). مستشرق انجليزي عالم بالكتاب المقدس، تخرج من جامعة أكسفورد، وكان قسيسًا في حلب بسوريا تمكن من إجادة العربية فيها، ثم عين أول أستاذ للعربية في أكسفورد، ترجم الكثير من الكتب المسيحية بغية التبشير إلى اللغة العربية، ومن أثاره تحقيق كتاب" لامية العجم " للطغرائي، وألف كتابه" لمع من أخبار العرب" وهو أول كتاب يطبع في أكسفورد بالحروف العربية. انظر: (بدوي، ١٩٩٣م)

[٢] سيمون أوكلي (١٦٧٨-١٧٢٠) مستشرق انجليزي، تعلم العربية والعبرية، وكان رئيسًا لقساوسة لوسوافسي، وعين استاذًا للعربية في كرسي السير توماس أدامز بكمبريدج، من أثاره كتاب " تاريخ الإسلام" في مجلدين ومقدمة للغات الشرقية باللاتينية. انظر: (عقيقي،١٩٦٤ م)

[٣] جورج سيل (١٦٩٧-١٧٣٦ م). مستشرق إنجليزي، كان محاميًا، ودرس العربية، واقتنى كثيرا من المخطوطات العربية. استعان ببعض المستشرقين في كتابة وجمع دائرة معارف أوروبية عن الإسلام، قام هو بكتابة كل المقالات المتعلقة بالعرب في تلك الدائرة. انظر: (عقيقي، ١٩٦٤ م)

الاقتصادي والتبشيري مرة أخرى، أو ما عبر عنه " سودرن" بالموعظة الحسنة (ساسي،١٩٩١ م). لذا توالى تأسيس المراكز والأقسام العلمية في الجامعات الغربية لدراسة الشرق وعلومه ولغاته وديانـاته.

وببداية القرن الرابع عشر تشكلت بدايات عصر النهضة الأوربية، كرد فعل للتخلص من السطوة الكهنوتية للكنيسة الغربية. واستبدلت النظرة الكنسية الضيقة للحياة والحضارة في الغرب، بنظرة أكثر عقلانية، والبحث الجاد عن الصفات الغربية، والإرث اليوناني الفكري فيها. يقول " لوكمان" : " ظهرت على مدى القرون الأخيرة القليلة رؤيا قوية أصبحت متأصله بعمق في عديد من ميادين المجتمع والثقافة في الغرب؛ متأصله بشدة لدرجة أنه كان صعبًا على الناس حتى إدراك تأثيرها المتغلغل بشكل شامل. لقد عرَّف الأوربيون الغربيون تدريجيًا- برسم وتثبيت سلسلة من الصفات التي بدا أن الغرب يمتلكها وتميزه عن الحضارات الأخرى التي تفتقر إليها- ما آمنوا بأنه سمات خاصه وحصرية لحضارتهم: الحرية والقانون والعقلانية والعلم والتقدم والفضول الفكري وروح الاختراع والمغامرة.

أصبح الغربيون يعتبرون تلك الصفات القيم المركزية للحضارة الغربية. وافترضوا أن أصولها ترجع إلى الإغريق القدماء، وأنها هي التي مكنت الغربيين بشكل متفرد بين شعوب الأرض، من تطوير المواقف والأفكار والتقنيات والمؤسسات الضرورية لميلاد العالم الحديث، والسيادة عليه سياسيا واقتصاديا وثقافيا، وبالتالي أصبحوا يعتبرون الغرب القوه القائدة في تاريخ العالم" (لوكمان، ٢٠٠٧ م، ص ١١٦).

ونتيجة لهذا الانفتاح في العالم الغربي لم يعد الدين الدافع الأساس لمعرفة الغرب للشرق، وفي ذات الوقت لم تغب الروح الاستعمارية والأنا الغربية، واعتبار الغرب هو مركز الكون الثقافي والحضاري، لذا بدأت تتشكل روح استعمارية لدى الغرب يرافقها الرغبة في إثبات التفوق الغربي، وإرضاء النزعة الأوربية التي ترى الدونية في كل ما هو ليس بأوربي، وتمثل ذلك في الحملة الفرنسية على مصر(1798-1801) ، حيث جلب القائد الفرنسي نابليون بونبارت -بالإضافة إلى جيش الاحتلال، والتعامل القاسي مع المصريين- مطابع وكتب وعلماء لتحقيق التواصل بين الغرب والشرق بما يخدم أهداف الغرب، ويثبت الأنا الغربية، والنظرة المشوهة عن الشرق المسلم، ولكن باءت دوافعه الاستشرافية وحملته العسكرية. ولكن شكلت تلك الحقب سواء الديني العسكري منها أو السياسي العسكري قنوات للتواصل بين الشرق والغرب كان للمستشرقين فيها دور بارز في رسم تلك العلاقة.

وأبرز ملامح تلك الفترة تمثلت في الآتي:

١.تغير في الخلفية الأوربية حول الشرق الإسلامي، وإدراك أعمق للروح الإسلامية وأثرها في مقاومة الغزو بكافة أشكاله.

٢.لم يعد الدافع الديني هو المحرك الأول أو الضابط لعلاقة الغرب بالشرق، وإنما برزت المصالح الاقتصادية والسياسية والعسكرية كمحرك أساس في العلاقة، وكان للمستشرقين أدوارهم المتنوعة والمهمة والحاسمة في تسهيل مهمة المستعمر والسياسي، ولا أدل على ذلك من جهود المستشرق الهولندي " سنوك هورخورنيه" (١٨٥٧- ١٩٣٦ م) الذي سخر علمه بالمجتمع الإندونيسي في خدمة إدارة المستعمرات الهولندية، حيث كانت إندونيسيا مستعمرة من قبل هولندا، وتعمق في معرفة المجتمع الإندونيسي حتى في مكة المكرمة، حيث تنكر في شخصية مسلم، ودخل إلى مكة المكرمة، وحضر الكثير من الدروس العلمية للعلماء الإندونيسيين هناك، وكتب الكثير عن المجتمع الإندونيسي المسلم سواء في إندونيسيا أو في مكة المكرمة، وكانت كتبه زادًا للمستعمر الهولندي في السيطرة على مستعمرته. (بدوي، ١٩٩١ م)

٣.شكلت الحقبة الاستعمارية السياسية صورة ملهمة لبعض المستعمرين في العصور اللاحقة (في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، وتمثلت معادلة السلطة والمعرفة بصورة جلية لدى المستعمر الغربي في دوافع تعرفه على الشرق المسلم، ويوضح " إدوارد سعيد " في كتابه الاستشراق كيف ألهمت تجربة نابليون المعرفية والاستعمارية المستعمرين الجدد لمصر عام ١٨٨٢ م الذي استمر استعمارهم ٧٤ عامًا، فيقول " إن احتلال نابليون لمصر آذن بدوران عجلة الروابط بين الشرق والغرب، وهي التي لا تزال سائدة في منظوراتنا الثقافية والسياسية المعاصرة، كما أن حملة نابليون بما أفرزته من ثمار القرائح العلمية الجماعية العظيمة قد أعدت المشهد أو الإطار الذي ازدهر فيه الاستشراق، إذ أصبح ينظر إلى مصر وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى بصفتها المختبر أو المجال أو المسرح الحي للمعرفة الغربية عن الشرق" (سعيد ، ١٩٩٥م، ص ١٠٠)

(٤) مرحلة إعلان القطيعة مع الماضي والإرث الاستشراقي القديم –

الاستشراق كونه ظاهرة من الظواهر التي تأثر وتتأثر بمحيطها وبالظروف المتغيرة من حولها، طرأت عليه رياح التغيير في الجوهر والشكل والمنهج، وبدأت تتبلور رؤية استشرافية جديدة بأدوات حديثة عكست التطور العلمي في الدراسات الانسانية والاجتماعية في الغرب، وتبدلت الرؤية الاستشراقية المتعمقة في اللغات الكلاسيكية للشرق، والبوابة الأساسية التي يعبر منها المتخصص ليكون مستشرقًا، فقيهًا باللغة، وما يترتب عليها من دراسة المخطوطات وتصنيفها والتعليق عليها، تبدل ذلك كله

إلى أن أضحى المستشرق عالمًا متخصصًا في الدراسات الاجتماعية، وأضحى الاستشراق مادة لدراسة المناطق الشرقية، وما تتميز به كل منطقة عن غيرها من ثقافة واقتصاد وعلوم ولغات وتاريخ، وتبدلت المناهج من كونها منهج فلولوجي صرف إلى مناهج علمية متنوعة. وأصبح مفهوم الاستشراق الحديث كما يعرفه الدكتور محمد خليفة حسن بأنه" علم إنساني اجتماعي، يطبق مناهج العلوم الإنسانية، والاجتماعية في دراسة الشعوب والثقافات" (حسن،١٤٢١هـ، ص ٥٨)

ولهذا التبدل والتغير في الظاهرة أسباب متنوعة، رصد الكثير من الباحثين تلك الأسباب أو العوامل، وعزوها إلى متغيرات عدة، منها -كما يذكره "أولفييه مووس" في كتابه " تيار الاستشراق الجديد والإسلام " (٢٠١٠ م)، وغيره من المهتمين برصد الاستشراق الحديث -:

١.انطماس معالم الاستشراق القديم في أعقاب الحرب الباردة، وتلاشي القطبية الثنائية بين الغرب والشيوعية، إلى مواجهة جديدة بين الغرب والشرق المسلم.
٢.ظهور ما يسمى "بالإسلام السياسي" والحاجة إلى معرفة أعمق بجذوره الفكرية العقائدية، ومقاربته بالفكر الغربي.
٣.قصور مناهج وِنتاج الفكر الاستشراقي القديم عن استيعاب الظواهر الإسلامية المنبعثة حديثًا، كالإسلام السياسي، وحركات الجهاد الإسلامي، والأحزاب الإسلامية الدعوية وغيرها مما يعجز عن تفسيره الاستشراق القديم وأدواته المتجذرة في العمق اللغوي ومناقشة التراث الإسلامي القديم.
٤.تراكم الإنتاج الناقد للظاهرة الاستشراقية في الغرب والشرق، ومن أمثلة الإنتاج ما قدمه" إدوارد سعيد" في كتابه الاستشراق" من نقد عاصف شكل محطة لمراجعات شاملة للنهج الاستشراقي القديم، سيما معادلة المعرفة من أجل السلطة.

وكنتاج طبعي لتلك الأسباب والعوامل تراكم توجه كبير نحو تغيير شامل للاستشراق طال حتى المسمى والمفهوم، حيث عقد في عام ١٩٧٣ م في باريس المؤتمر العالمي للاستشراق بمناسبة مرور ١٠٠ عام على انعقاد أول مؤتمر للمستشرقين، وصاحب المؤتمر نقاش كبير حول مصطلح " الاستشراق " وضرورة تغييره، لتبدل الكثير من مناهجه وموضوعاته، وصفات المتخصصين فيه، ولجأ المجتمعون إلى التصويت على تغيير المسمى، وكانت الغلبة لصالح التغيير إلى مسميات أخرى مثل: المتخصصين في الدراسات الشرقية، أو علماء اجتماع متخصصين في مجال الشرق وعلومه، أو غيره من المسميات بعيدًا عن المسمى القديم. ويعود إعلان القطيعة مع المفاهيم القديمة للاستشراق إلى مسببات كثيرة منها: (لويس، ترجمة ٢٠١٧ م) (حميش، ٢٠١١م) (آصطيف، ٢٠٠١ م)

١-غموض المصطلح وعدم دقته، ففي البداية كان المستشرقون علماء لغة "فيلولوجيون"، يهتمون بالتحصيل والدراسة وطبع النصوص وتفسيرها، وكان

المصطلح مناسبا لواقعهم، أما اليوم فقد أصبح هذا المصطلح غامضا في دلالته إلى حد كبير.

٢-عدم قدرته على الوفاء بوصف الباحثين المتخصصين في مجالات عديدة تتعلق بأهل المشرق، من حيث أديانهم وثقافتهم وتاريخهم. فمع تقدم الاستكشاف والتبحر العلمي أصبحت كلمة "مستشرق" غير وافية أكاديميا وجغرافيا. فلم يعد الدارسون المتخصصون في شؤون الشرق الأوسط محصورين في علم واحد، فقد تفرع علمهم، وتشعب إلى عدة علوم. كما أن مصطلح "الشرق" أصبح أكثر اتساعًا، بحيث يشمل مناطق تتجاوز الشرق الأوسط الذي انحصر اهتمام الأوروبيين فيه، كالصين والهند وغيرهما.

٣-ما اصطبغ به من أوصاف سلبية وتاريخ علمي بعيد عن الموضوعية والإنصاف. يقول المستشرق برنارد لويس في مقاله " مسألة الاستشراق" : " تم تلويث مصطلح الاستشراق إلى حد لا يطاق، لكن هذا أقل أهمية، لأن الكلمة فقدت سابقا قيمتها وتم التخلي عنها من قبل هؤلاء الذين استعملوها سابقًا، هذا التخلي لقي ترحيبًا رسميًا في المؤتمر الدولي للمستشرقين، وبدا أنه مناسبة جيدة لإعادة النظر في طبيعة وظائف المؤتمر... أصبح واضحًا بسرعة أنه كان هناك إجماع لصالح ترك هذه التسمية، لكن البعض أراد الذهاب أبعد من ذلك إلى إنهاء سلسلة المؤتمرات على أساس أن المهنة ذاتها لم تعد موجودة، وأصبح وجود المؤتمر على أثر ذلك بدون هدف... فقد كانت الحركة الداعمة للإلغاء ناجحة" (ترجمة ٢٠١٧ م، ص ٧)

٤-ويضيف بنسالم حميش في كتابه " الغرب والإسلام في مرايا الاستشراق" حول العوامل المسببة لإعلان القطيعة مع الاستشراق القديم مفهومه: " استقلالات البلدان المستعمرة، وبالتالي تلاشي عقود الاستشراق بالظاهرة الاستعمارية. فهذا العامل التاريخي قد أظهر للمستشرقين الجدد نقائص الهيمنة الغربية وحلقات الضعف في عالمية الأنموذج الحضاري الغربي، كما كشف لهم بالتوازي الخصوصيات الحضارية القومية وعن حقها في التحرير والنمو الذاتي... [ويضيف] ظهور العلوم الإنسانية وانتعاشها بحيث أنها أحدثت في أفق المستشرقين الفكري والمعرفي صدمة مؤثرة، أدت بالمجددين منهم إلى الوقوف على وجوه القصور في مدارك الاستشراق التقليدي وفي أدواته ومناهجه" (٢٠١١م، ص ١٠٩ ،١١٠).

وأبرز ملامح تلك الفترة تمثلت في الآتي:

١- الاعتراف الواضح من قبل المستشرقين بضعف تصورهم السابق عن الشرق وعلومه وأديانه، وإذا كان الحكم على الشيء فرع من تصوره، فإن دائرة الشك تتوسع كثيرًا حول إنتاج المستشرقين السابق، مما يفرض عليهم أولاً (المستشرقين الجدد)، وعلى المهتمين بالظاهرة الاستشراقية ثانيًا نقد التراث والنتاج الاستشراقي السابق.

٢- تحول المركزية الاستشراقية من دراسة النصوص إلى الدراسات العملية المناطقية. يقول إدوارد سعيد: " والفكرة التي أحاول عرضها هنا تتلخص في تأكيد وقوع الانتقال من الفهم النصي للشرق، أو الصياغة أو التعريف النصي له، إلى التطبيق العملي لذلك كله، وفي تأكيد أن الاستشراق قد اضطلع بدور كبير في ذلك الانتقال الذي يعتبر في حقيقته قلبًا لطبيعة الأمور" (١٩٩٥م، ص ١٧٣).

٣- ظلت أخاديد الاستشراق القديم متجذرة في فكر المستشرقين الجدد، وتصوراتهم عن الشرق المسلم. يقول إدوار سعيد:" المستشرق الحديث عندما يحكم على الشرق لا يبتعد عنه، بعكس ما يظن أو ما يقول، كيما يصدر عليه حكمًا موضوعيًا. إذ أن انفصاله الإنساني مثقل بكل ما هو معتمد في الاستشراق من مواقف ومنظورات وحالات نفسية... كما أن الشرق الذي يراه ليس الشرق بصورته الحقيقية بل بصورته التي رسمها له الاستشراق، ورابطة المعرفة والسلطة" (١٩٩٥م، ص ١٨٦).

٤- انتشار المراكز والجمعيات الاستشراقية: في القرن العشرين انتشرت كثير من الجمعيات والمراكز البحثية، التي تتوافق مع التغير الحاصل في المفاهيم، والأدوات، والمناهج الاستشراقية، وتعكس الحرص الغربي على استمرار دراسة الشرق، بدوافع مختلفة منها السيطرة، وتفسير بعض الظواهر التي بدأت في المجتمعات الإسلامية كالحركات والأحزاب الإسلامية، ومن أبرز تلك المعاهد والمراكز والجمعيات الآتي: (الغامدي، ١٤٣٤هـ)

- مؤسسة رسل سيج (١٩٠٧م)
- مؤسسة كارنيجي الوقفية للسلام الدولي (١٩١٠م)
- معهد هوفر للحرب والثورة والسلام (١٩١٩م)
- معهد بروكنجز (١٩٢٧م)
- مؤسسة راند (١٩٤٥ م)
- معهد هدسون (١٩٦١ م)
- الجمعية البريطانية لدراسات الشرق الأوسط (١٩٧٤م).
- معهد الكونجرس الحر(١٩٧٤م)
- مركز اكسفورد للدراسات الإسلامية ١٩٨٥م)
- القرن الأمريكي الجديد (١٩٩٧م).

المراحل السابقة لا تعني أن كل مرحلة مستقلة بصورة كاملة عن المراحل التي تسبقها والتي تليها، بل هناك تداخل وتكامل، وفي بعض الأحيان –عند بعض المستشرقين أو المدراس الاستشراقية- تتمسك فئة بإرثها السابق، وبخصائصها المميزة لها عن المراحل التي تلتها. فعلى سبيل المثال: ترفض المدرسة الاستشراقية الروسية التخلي عن مفهوم الاستشراق القديم، يقول لويس:" كان طلب الإبقاء على الاسم] في المؤتمر]قرار الوفد الروسي، بقيادة الراحل باباجان غفوروف، مدير مؤسسة الاستشراق

في موسكو، ... ويقول [أي باباجان غفوروف] :لقد خدمنا هذا اللفظ بشكل جيد لأكثر من قرن. لماذا يجب أن نتخلى عن الكلمة التي تُسمي العمل الذي نعمله، والتي حملها بفخر أساتذتنا وأساتذتهم لأجيال مضت؟ " (ترجم ٢٠١٧م، ص ٧)

المبحث الثاني

ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والنقد الموجه لها.

وفق الرواية الأمريكية الرسمية فإن أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ التي شهدتها أمريكا، تم تحويل اتجاه أربع طائرات نقل مدني تجارية لتصطدم بأربعة أهداف محددة نجحت ثلاثة منها، وكانت الأهداف تتمثل في برجي مركز التجارة الدولي بمانهاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكية (البنتاجون)، وقد سقط نتيجة لهذه الأحداث ٢٩٧٣ ضحية، فضلاً عن آلاف الجرحى والمصابين بأمراض. ووفق نفس الرواية فإن ١٩ شخصاً على صلة بتنظيم القاعدة نفذوا هذه الهجمات بطائرات مدنية مختطفة، وقد انقسم منفذو العملية إلى أربع مجموعات ضمت كلاً منها شخصاً تلقى دروسا في معاهد الملاحة الجوية الأمريكية.

وكان لهذا الهجوم المتطرف أثرًا كبيرًا على الفكر الغربي عامة والاستشراق خاصة، تبدلت فيه الكثير من الرؤى والمواقف تجاه الشرق عامة والمسلم منه خاصة، وتأخرت بعض الرؤى الاستشراقية التي كانت في مقدمة قيادة الفكر الاستشراقي، وفي المقابل ظهرت على السطح رؤى قديمة وأضحت في الصفوف الأمامية لقيادة الفكر الاستشراقي سيما في أمريكا.

(١) التفسير الاستشراقي لأحداث الحادي عشر من سبتمبر

تأثرت ظاهرة الاستشراق بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، سواء على مستوى تفسير الدوافع أو اقتراح الحلول، أو المناهج البحثية، في التعامل مع الشرق المسلم، أو في طرح أفكار عملية للوقاية من وقوع أحداث أخرى. وكان لرموز الظاهرة الاستشراقية في الغرب تفسيرًا لتلك الأحداث، ومن أبرزهم " برنارد لويس" الذي كان له التأثير الأكبر في الإدارة الأمريكية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، يقول "دوجلاس ليتل " : " يظل " بيرنارد لويس " هو أكبر خبراء الشرق الأوسط الأكاديميين تأثيرًا في واشنطن بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر" (٢٠٠٩ ، ص ٥٤٨). ويفسر " لويس" الأحداث بأنها انعكاس طبيعي للعداء للغرب ولأمريكا خاصة، وأن العالم الإسلامي طوال ثلاثة عقود شهد تراجعا وانهزاما مستمرا مقابل انتصار العالم الغربي، فعلى حد زعمه أن المسلمين شهدوا مراحل متعاقبة من الهزيمة- بسبب قوة الغرب وروسيا، وأن هذه الهزائم والتراجعات – على حد زعمه- ولدت غضبًا كبيرًا في الأوساط الإسلامية تجاه أمريكا على وجه الخصوص، ومهدت - على حد قوله- لهجمات المتشددين من المسلمين على المصالح الغربية. (لوكمان، ٢٠٠٧م).

وفي مواطن أخرى يفسر " لويس " الدوافع وراء اعتداء الحادي عشر من سبتمبر بأنه شعور طبقي من قبل الفقراء تجاه الأغنياء، فيقول في كتابه " أزمة الإسلام"

(تُرجم ٢٠١٢ م) في سياق استطلاع ردة الفعل في الأوساط الإسلامية: " كانت ثمة تقارير، بل حتى صور لاحتفالات في الشوارع والمدن العربية وأخرى إسلامية بمناسبة أحداث نيويورك،[أحداث الحادي عشر من سبتمبر] ... وكانت ثمة شعور بالرضا بين الفقراء والمعدمين، وكانت فرحة حقيقية لبعضهم أن يروا الأمريكان الأغنياء المعتدِّين بأنفسهم وقد لقنوا درسًا" (ص ١٥٢).

وثمة تفسير أُريد له أن يكون شائعًا في الأوساط الغربية، وعلى وجه الخصوص عند متخذي القرار في البيت الأبيض، وهو أن تكوين العقل العربي وطبيعة العرب والمسلمين الوحشية وراء تلك الحوادث الإرهابية. يقول " دوجلاس ليتل " في كتابه " الاستشراق الأمريكي": " الأمريكيون الذين يريدون أن يفهموا دوافع المتعصبين الإسلاميين عادة ما كانوا يرجعون إلى خبراء متخصصين في شؤون الشرق الأوسط ... أحد هؤلاء الخبراء كان " رافائيل باتاي" الذ يؤكد في كتابه "العقل العربي" (الطبيعة الوحشية والشبقة للعرب، وسرعان ما كان هذا الكتاب أحد الكتب الواجب قراءتها في البنتاجون عشية قيام إدارة " بوش " بالتحضير لحرب العراق. الكولونيل " نورفيل دي آتيكن " يقول في تقدمة كتاب العقل العربي " هو بمثابة المادة الثقافية السياسية التي أقوم بتدريسها للضباط العسكريين في المؤسسة التي أعمل بها، فالعرب كانوا دائما أسرى الحماقات الدينية والقبلية التي حبستهم في بيئة ثقافية تخنق المبادرة والتفكير المستقل وتقتل الإبداع" " (ص ٥٤٧).

ومن تلامذة " برنارد لويس" الكاتب الصحفي " توماس فريدمان " الذي عبر عن الروح الاستعلائية الغربية تجاه الشرق المسلم الغامض وغير الواعي- على حد زعمه- في مقال له بعنوان " THE WORLD; A Dreamlike Landscape, a Dreamlike Reality" في جريدة النيويورك تايمز (١٩٩٠م)، حيث يرى أن الرمزين الغربي المتمثل في الصليب والرمز الإسلامي المتمثل في الهلال يعبران عن طبيعة الجنسين الغربي والإسلامي، فالصليب على حد زعمه ملئ بالزوايا القاطعة التي تبدأ وتنتهي، ولكن رمز الشرق العربي هو الهلال، وهو قوس واسع غامض، به منحنيات ولكنه يخلو من الأركان. (٢٨ أكتوبر ،١٩٩٠ م). في محاولة منه لإظهار القوة العقلية المميزة للغرب والمفكرة على عكس العقلية العربية اللاعقلانية.

وعلى الرغم من الاتفاق التام والاعتراف بأن هجمات الحادي عشر من سبتمبر تمثل صورة من صور الانحراف الفكري عن النهج الإسلامي القويم، وأن من قام بها ابتعد كثيرًا عن نهج الإسلام في الحرب والسلم، فقتل الأبرياء في مبنى التجارة ومنهم المسلمون لا يمثل نوعًا من الجهاد أو حتى الانتقام المشروع. بل كان له الأثر السلبي على صورة الإسلام والمسلمين في العالم الإسلامي والغرب خاصة، وكان لها انعكاس سلبي حتى على تصورات من يمثلون الاعتدال الاستشراقي ك" جون اسبيزيتو" وغيره. يقول رضوان السيد: " بيد أن الخط الذي يتبعه أمثال سبوزيتو بعد ١١ أيلول /سبتمبر

تعدل بعض الشيء أيضًا. كانوا يقولون أن الإسلام دين عالمي عظيم، وحضاري، أما الآن فيقولون أن الإسلام ممتاز؛ لكن المسلمين قسمان: معتدلون ومتطرفون، وقد اختطف المتطرفون الإسلام، وعلى المعتدلين استعادته" (٢٠٠٤م، ص ٣٦). وتحول المسلمون بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من مبادرين ودعاة ومبشرين بإنسانية الإسلام وسماحته إلى مدافعين يتحركون في نطاق ما يسمح لهم مجال الدفاع والمناورة.

وبالرغم مما سبق فإن الأحداث تم استثمارها من قبل الاستشراق القديم بإطروحاته المتطرفة، وبتسويق خلفيته المشوهة عن الإسلام، بل فرضها على أصحاب القرار في واشنطن، ومحاولة تجاوز أفكار المتطرفين المسلمين إلى إثبات وإلصاق الطبيعة الوحشية بالمسلمين عامة ،، مثلما حاول " باتاي " في كتابه "تكوين العقل العربي" من اعتبار الوحشية والقسوة وعدم المرونة التفكيرية صفات لازمة للعربي، وجهل أو تجاهل أن المسلمين كانوا أصحاب حضارة مميزة، سجلها التاريخ المنصف بمدار الفخر والاعتزاز، فهي حضارة واقعية لا مثالية كان فيها الكثير من العناصر الإنسانية الرائعة، وانتابها ما ينتاب دورة حياة الحضارات من الآفات وعناصر الانهيار التي أثرت عليها ولكن لم تغير جوهرها الرائع بكونها حضارة قيمية تعتمد الأخلاق والقيم كمكونات أساسية لقيامها. يقول " وليم ديورانت" في كتابه الضخم قصة الحضارة: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح : لا نجد لها نظيراً في البلاد المسيحية في هذه الأيام فلقد كانوا أحراراً في ممارسة شعائر دينهم.. واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم"

ويقول أيضا:" وكان اليهود في بلاد الشرق الأدنى قد رحبوا بالعرب الذين حرروهم من ظلم حكامهم السابقين .. وأصبحوا يتمتعون بـ كامل الحرية في حياتهم وممارسة شعائر دينهم. وكان المسيحيون أحراراً في الاحتفال بأعيادهم.. وكان الحجاج المسيحيون يأتون أفواجاً آمنين لزيارة الأضرحة المسيحية في فلسطين .. وأصبح المسيحيون والذين خرجوا على كنيسة الدولة البيزنطية .. والذين كانوا يلقون صوراً من الاضطهاد على يد بطاركة القسطنطينية وأورشليم والاسكندرية وإنطاكيا .. أصبح هؤلاء الآن: أحراراً آمنين تحت حكم المسلمين "(١٣١/١٢)

وقيام الحضارة الإسلامية في مراحل معينة يكذب- وبوضوح – أطروحات أن اللاتسامح والقسوة والعنف أجزاء من مكونات العقل العربي المسلم كما زعم " باتاي"، وتكذب أيضًا طرح توماس فريدمان أن العقلية العربية غير منتجة وغير منطقية وغير مفكرة. أما ما طرحه برنارد لويس بأن أحداث الحادي عشر من سبتمبر هي رد فعل من قبل فقراء تجاه الأغنياء، فإن القائمين على تخطيط وتنفيذ الأحداث كانوا من طبقات غنية وليست فقيرة. أما تفسيره أن الدافع يكمن في وجود روح محبطة نتيجة الإخفاقات المتتالية والهزائم المتتابعة للمسلمين من قبل الغرب، فهو تفسير لا يدعمه أدبيات تلك المجموعات الإرهابية، ويبقى افتراض يحتاج إلى دليل علمي وعملي. كما أن تعميم هذا التفسير على جميع المسلمين أمر فيه الكثير من التجني والغلو.

والتفسير الأقرب إلى الواقع والمنطق يتمثل في أمرين:

الأول: أن كل ديانة وحضارة سادت عبر التاريخ كان فيها صورًا كثيرة من الاعتدال وصورًا أقل من الانحراف عن ذلك الاعتدال، والإسلام والمسلمين ليسوا بمعزل عن ذلك، بل حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الانحراف عن النهج القويم وعن اتباع الفكر المتطرف" (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ رواه ابن ماجة في سننه، وصححه الألباني.

وعن يُسَيْرُ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ قُلْتُ لِسَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي الْخَوَارِجِ شَيْئًا قَالَ سَمِعْتُهُ يَقُولُ - وَأَهْوَى بِيَدِهِ قِبَلَ الْعِرَاقِ - " يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ ". متفق عليه

الثاني: التطرف يولد التطرف والاعتدال يولد الاعتدال، ما فعله الغرب سابقًا ولاحقًا من استعمار عسكري واقتصادي وثقافي وسياسي لا بد أن يقابله تطرف رافض لتلك الهيمنة، فما يفعله الغرب مثلاً من تأييد مطلق للممارسات الصهيونية في فلسطين، وتدنيس قبلة المسلمين وثالث الحرمين، سيحدث رد فعل متطرف – غير مقبول – من قبل فئة قليلة من المتطرفين المسلمين. يؤكد ذلك الفليسوف الفرنسي " جان بودريار" في كتابه " ذهنية الإرهاب (٢٠٠٣ م) -في معرض تحليله لأحداث الحادي عشر من سبتمبر – أن النظام الغربي هو الذي ولَّد الشروط الموضوعية لهذا العنف المباغت، من خلال تفرده بالقرار العالمي وأوراق اللعبة. ويقول " الرعب مقابل رعب. ولم يعد هناك – وراء كل هذا – أي بعد أيدلوجي، لقد أصبحنا بعيدين جداً من كل أيدلوجية وسياسة" (ص٢١) . ويضيف " أن الطاقة التي تغذي الرعب لا تعبر عنها أيدلوجية ولا أي قضية حتى ولو كانت إسلامية ... الإرهاب كالفيروس ماثل في كل مكان، هناك حقن عالمي متواصل للإرهاب الذي هو كالظل الملازم لكل نظام سيطرة" (ص ٢١).

(٢) بروز بعض أطروحات الفكر الاستشراقي المتطرف، وتبنيها من قبل الدوائر السياسية، والهجوم على المؤسسات والأفراد التي تمثل الاعتدال في الدراسات الشرق أوسطية.

من الملامح الاستشراقية المميزة لهذه المرحلة اجترار المستشرقين الجدد لأفكار الاستشراق القديم سيما المتطرف منه، بهدف نشر الخوف من الإسلام (الاسلامفوبيا)، واستثمار الأحداث لتعميمها على ديانة كاملة، بما يشمل تاريخها وثقافتها وعقيدتها وشعوبها. وتزعم هذا الاتجاه الكثير من المستشرقين كبرنارد لويس وخبراء شرق

أوسطيين مثل مارتن كريمير[١] و دانييل بايبس [٢] وغيرهم، وآتى هذا الاتجاه أكله سيما على مستوى الإدارة الأمريكية، وكان تأثيرهم واضح جدًا بعد الأحداث في صنع القرارات والمواقف من الشرق المسلم. يقول " ستيفن شيهي " في كتابه "الإسلاموفوبيا " لا ترجع أعمال لويس إلى مضمونها المبتكر، بل تكمن فاعليتها في قدرتها على إعادة قولبة المجازات الاستشراقية الجديدة في صورة معيارية جديدة مشبعة بالإسلاموفوبيا تتواءم مع زمن العولمة وسطوة الولايات المتحدة فيه... وجدت أطروحات لويس الثقافية أصداء لها في اللاوعي العنصري للأمريكيين البيض باستغلال مخاوفهم من اندماج العالم الإسلامي الأسمر في النظام الكوني" (٢٠١٢م ، ص ١١٠، ١١١)

وأعمال " بايبس " تصب في نفس اتجاه أعمال "برنارد لويس " في التخويف من الإسلام والتحذير المستمر من خطره على الولايات المتحدة وإسرائيل. يقول" لوكمان " في كتابه " تاريخ الاستشراق" : " وفي منتصف التسعينات كان بايبس يرى أن الإسلام المقاتل يفرض تهديدًا خطيرًا على الولايات المتحدة وحلفائها، خصوصًا إسرائيل، وأن هذا التهديد يجب أن لا يقابل بالاعتراف بالمظالم الإسلامية، أو التكيف معها، لأنها بلا أساس من حيث الجوهر، وإنما بموقف صلب بل وعدواني ، لتقويض أو إبادة المقاتلين والدول التي من المفترض أنها ترعاهم... ويعزز رؤى وسياسات اليمين الإسرائيلي التي ترفض التسوية السلمية مع الفلسطينيين، ويرى في المقابل إلى استعمال التفوق العسكري في فرض شروطها للسلام على العرب" (٢٠٠٧م، ص ٤٠٠، ٤٠١)

والتخويف من الإسلام هي دعوة استشراقية قديمة، تهدف إلى تحذير الغربيين من اعتناق الإسلام أو حتى معرفته بصورة أعمق، وقد تتبدل الغايات ولكن تبقى الأدوات والأساليب الاستشراقية مادة متوارثة بينهم. يقول " بطرس المبجل" الذي أشرف على ترجمة القرآن الكريم عام ١١٤٣ م في معرض حديثه عن الغاية من الترجمة: " "إذا بدا أن العمل الذي أدعو إليه غير ضروري الآن لأن العدو لن يتأثر بهذا السلاح... فإذا لم

---

[١] مارتن كريمر: في معهد واشنطن ومؤلف إحدى أفضل الدراسات الفردية مبيعاً "الأبراج العاجية على الرمال: فشل الدراسات الشرق أوسطية بالولايات المتحدة الأمريكية". يعتبر الدكتور كريمر مرجعاً في السياسات العربية والإسلامية المعاصرة حيث حصل على شهادتي البكالوريوس والدكتوراه في دراسات الشرق الأدنى من جامعة برنستون. وعلى مدار مشواره المهني الممتد لخمسة وعشرين عاماً في جامعة تل أبيب شغل منصب مدير معهد موشى ديان للدراسات الشرق أوسطية والإفريقية، كما عمل كمدرس زائر في جامعة براونديس وجامعة شيكاغو وجامعة كورنيل وجامعة جورج تاون واختير مرتين كزميل لمركز وودرو ولسون للعلماء في واشنطن.
The Washington Institute for Near East Policy :
https://www.washingtoninstitute.org/ar/experts/view/kramer-martin

[٢] دانييل بايبس : متخصص في التاريخ الإسلامي، وحاصل على الدكتوراه من جامعة هارفرد في التاريخ الإسلامي في العصور الوسطى، ومهتم بالقضايا الإسلامية المعاصرة، ومن انتاجاته: كتاب " في طريق الله، وكتاب " الصحوة الإسلامية ". يصف نفسه بأنه من المحللين القلائل الذين يفهمون خطر الإسلام الكفاحي. (لوكمان، ٢٠٠٧ م)

يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحية الصحيحة، فلا أقل من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السَّذّج، الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم" (ساسي ، ١٩٩١ م، ص ٤٤/١).

انتهز المستشرقون سيما المعبرون عن اليمين الصهيوني في السياسة الأمريكية أحداث الحادي عشر من سبتمر في نزع الشرعية عن معارضيهم من المستشرقين المعتدلين أو المناصرين لقضايا العرب والمسلمين. وكان لبايبس مبادرات كثيرة في هذا لمجال، ونقد أي موقف استشراقي متسامح مع الإسلام، والتشكيك في الدراسات الآكاديمية عن الإسلام التي تتسم بالموضوعية أو التسامح. يقول " لوكمان " : " وبعد سنة من هجمات ١١ سبتمبر دشن بايبس ومنتدى الشرق الأوسط الذي يرأسه[تم تعينه فيه من قبل الرئيس الأمريكي جورج بوش] مبادرة جديدة تستهدف مباشرة دراسات الشرق الأوسط الأكاديمية، وهي عبارة عن موقع إلكتروني يسمى مرصد الجامعات... وقد دشن المرصد حملته على اللذين لا يشاركون بايبس رؤاه اليمينية، بالهجوم على ثمانية من أساتذة دراسات الشرق الأوسط أو الدراسات الإسلامية... وأورد الموقع أيضًا أسماء ١٤ جامعة متهمة بخطايا مماثلة" (٢٠٠٧م ، ص ٤٠٣)

وتركز الهجوم من قبل المستشرقين المتطرفين على فشل توقعات دراسات الشرق الأوسط القائمة على التسامح ونشر الديموقراطية في العالم الإسلامي، وعزز رؤاهم أحداث الحادي عشر من سبتمبر، لذا ألف " مارتن كريمر" كتابه " أبراج عاجية على الرمال: فشل دراسات الشرق الأوسط في أمريكا Ivory Towers on Sand" سلط الضوء على الدراسات التي كانت متفائلة بخصوص التعامل مع الشرق المسلم واتهمها بأنها " مثيرة للسخرية"(Kramer,2001). وهاجم في كتابه دراسات كلا من إدوارد سعيد، وجون اسبوزيتو متهمًا اياهما بخطأ تصوراتهم عن الشرق وأن منهجيتهم في دراسة الشرق غير علمية، وأن مناصرتهم للقضية الفلسطينية في غير محلها. (انظر: ص ٢٧- ٤٤)

من غير المستغرب أن تجد استثمارًا لأحداث الحادي عشر من سبتمبر من قبل اليمين الصهيوني في أمريكا، وتقل درجة الاستغراب أكثر عندما ترى الهجوم على المهتمين بالاستشراق عامة ومناصري القضية الفلسطينية خاصة، ويزول الاستغراب تمامًا إذا علمنا أن أمثال كريمر وبايبس هم نتاج معاهد ومراكز تخدم السياسة الصهيونية في أمريكا. فكريمر هو مساعد مدير مركز موشي ديان لدراسات الشرق الأوسط وأفريقيا، الجنرال الإسرائيلي المعروف. وبايبس كان يطرح دائمًا في محاضراته ومقالاته ومشاركاته الإعلامية كل ما يخدم مصالح إسرائيل. (لوكمان، ٢٠٠٧ م)، وهو ما ينطبق أيضًا على برنارد لويس.

وتركز هجوم المستشرقين من اليمين المتطرف الصهيوني على فشل توقعات أصحاب الاعتدال الاستشراقي ونسوا أو تناسوا أن توقعاتهم أيضًا خابت وتبين بعد فترة

من الزمن عدم صحتها، فقد تنبأ بايبتس في السبعينيات أن الفاعلية الإسلامية ستتلاشى بجرد تناقص ازدهار منظمة الاوبك (منظمة البلدان المصدرة للبترول) وهبوط أسعار النفط، بزعمه أن تلك البلدان تنفق على فعالية النشاط الإسلامي في العالم، ولكن فشل التنبؤ وهبطت أسعار النفط بصورة كبيرة في الفترات اللاحقة ولم يؤثر ذلك على فعالية الأنشطة الإسلامية. (لوكمان، ٢٠٠٧م)

وفي ذات السياق يذكر الكاتب الصحفي (Robert Bliecher) في عام ٢٠٠٣ م أنه بعد أحداث ١١ سبتمبر دُعي برنارد لويس إلى لقاء مع الرئيس بوش ونائب الرئيس تشيني وأعضاء مكتب سياسة الدفاع الذي يلعب دورًا محوريًا داخل وزارة الدفاع، وقدم لهم فهمه للشرق الأوسط والعالم الإسلامي والدور الذي تستطيع الولايات المتحدة أن تلعبه فيهما. وأقر لويس في هذه المناسبة استخدام القوة العسكرية الأمريكية للإطاحة بصدام حسين وأكد لمستمعيه أنه بعد تحقيق ذلك ستتمكن الولايات المتحدة لبلا صعوبة تذكر من إعادة سبك العراق ليصبح بلدًا ديموقراطيًا، ويفيد كمرشد ونموذج للمنطقة كلها. (نقلا عن لوكمان، ٢٠٠٧ م). والمراقب البسيط للأحداث حتى الآن(٢٠١٨م) يشهد أن تنبؤ لويس خاب وفشل، بل كان له الأثر السلبي في تداعي الأحداث الإرهابية ليس على العراق وحده بل على المنطقة كلها.

بل تجاوز أثر الاستشراق المتطرف بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلى الممارسات المرفوضة في الشرائع السماوية والقوانين الوضعية. يقول " دوجلاس ليتل " في كتابه الاستشراق الأمريكي: " أجرى سيمور هرش - عميد المحققين الصحفيين الأمريكيين- مقابلات مع المسؤولين العسكريين الأمريكيين عن عمليات التعذيب في سجن " أبو غريب " بعد عام، كان كثيرون يؤكدون له أن استخدام أساليب الامتهان الجنسي كوسيلة لكسر السجناء العراقيين كان مؤسسًا على قراءة بعناية لكتاب " العقل العربي" ". (٢٠٠٩م، ص٥٤٧).

(٣) المعالجة الاستشراقية للأحداث من خلال المطالبة بتأسيس ودعم نسخة إسلامية معتدلة في المجتمعات المسلمة تتوافق والمصالح الغربية.

تبنى المستشرقون وخبراء الشرق الأوسط في كثير من المؤسسات والمؤلفات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر أهمية بل ضرورة خلق شبكات معتدلة (أي متوافقة مع المصالح الغربية ولا تتصادم مع مفاهيمه) في المجتمعات المسلمة، وأوصوا بضرورة تأسيسها ودعمها والوقوف مع كل اتجاه يسهم في مواجهة الأصولية الإسلامية، لبناء نسخة معدلة من الإسلام مسالمة تابعة للمصالح الغربية، وشيطنة أي صيغة مقاومة للهيمنة الغربية.

ومن الأصوات الغربية التي تبنت هذه المقاربة أو المعالجة للأوضاع في المجتمعات الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر برنارد لويس، يقول في كتابه " أزمة الإسلام ":" في أغلب بلدان المنطقة الأخرى ثمة من يشاركنا قيمنا، ويتعاطف معنا، ويتمنى مشاركتنا منهاج حياتنا. إنهم يفهمون الحرية، ويريدون التمتع بها في

بلادهم. مساعدة أولئك أصعب، ولكن ينبغي – على الأقل – ألا نعرقلهم، وإذا نجحوا سنكون أصدقاء وحلفاء حقيقيين بمعنى الكلمة لا دبلوماسيًا فقط" (١٠١٣م، ص ١٥٨)

ومن المؤسسات التي تبنت تلك الرؤية مؤسسة " Rand" وهي مؤسسة بحثية تختصر حروفها (research and development) معنى البحث والتطوير، وتم إنشاءها في عام ١٩٤٥م ضمن عقد عسكري مع شركة عسكرية لصناعة الطائرات الحربية، وهي مؤسسة غير ربحية تهدف إلى دراسة السياسة المختلفة في الولايات المتحدة الأمريكية وأثرها على الأمن القومي. (انظر: موقع المؤسسة الإلكتروني: https://www.rand.org/about/history.html ، وموقع الموسوعة العربية العالمية: www.mawsoah.net).

نشرت المؤسسة تقارير متتالية عن رؤية تكوين شبكات اعتدال في المجتمعات المسلمة لمواجهة الاتجاهات الرافضة للهيمنة الغربية، ومن تلك التقارير: Civil Democratic Islam Partners, resources, strategies، عام ٢٠٠٧م، ويعني إسلام حضاري ديموقراطي: شركاء وموارد واستراتيجيات. وأصدرت في عام ٢٠٠٧ م، موجود على موقع المؤسسة:
https://www.rand.org/pubs/monograph_reports/MR1716.html)

وتقرير بعنوان: In Their Own Words: Voices of Jihad ، عام ٢٠٠٨ م ، ويعني الجهاد من خلال كتابات الجهاديين. موجود على موقع المؤسسة:
https://www.rand.org/pubs/monographs/MG602.html

ويشترك التقريران بتوصية واحدة وهي ضرورة دعم السفارات والملحقيات الأمريكية في البلدان الإسلامية لمجموعات متنوعة يجمعها مصالح مشتركة مع الغرب. فعلى سبيل المثال في التقرير الأول: Civil Democratic Islam Partners, resources, strategies تم تقسيم المجتمعات المسلمة إلى فئات متعددة وهي: المجددون، العلمانيون، المجتمع المدني، التقليديون، الأصوليون. وتم تعريف كل فئة، والدور الذي ينبغي أن تلعبه السياسة الأمريكية في دعم فئات أو تحجيم أخرى. فعلى سبيل المثال يرى التقرير ضرورة دعم التقليديين في مواجهة الأصوليين، من خلال: نشر انتقادات التقليديين للأصوليين، تشجيع الخلاف بين الأصوليين والتقليديين، تشجيع التقارب بين المجددين والتقليديين الأقرب للحداثة، تعزيز تواجد المجددين في مواقع ومؤسسات التقليديين. يقول "الغامدي" [١] :" وبما أن التقرير لم يذكر حدًا فاصلاً بين التقليديين والأصوليين، لنعرف به من يقف في مربع التقليدية ومن يقف في مربع الأصولية. فإن المتأمل في التقرير يدرك أن لا حدود تفصل بينهما عن الغرب، وإنما

[١] صالح بن عبد الله الغامدي من الباحثين الذين درسوا التقرير بصورة تحليلية نقدية في كتابه: الإسلام الذي يريده الغرب: قراءة في وثيقة أمريكية

المقياس عندهم أن كل من يدعو إلى الجهاد ولو كان دفاعاً عن النفس، أو يدعو إلى استقلال الأمة الإسلامية فكريًا، أ، سياسيًا، أو اقتصاديًا، فإنه يقف في مربع الأصولية، ومن لا يذكر هذين الأمرين أو يركز عليهما فإنه يقف – بمقياسهم – في مربع التقليدية، وكلاهما خطر بالنسبة لمصالحهم، ولكنه خطر دون خطر"(١٤٣٤هـ، ص ٢٦٧).

والتقرير الثاني In Their Own Words: Voices of Jihad حاول أن يثبت أن التطرف لدى الجماعات الجهادية له شرعية ومرجعية في كتابات الكثير من العلماء والدعاة على مر التاريخ الإسلامي، ويقترح في خاتمة التقرير بعضًا من المعالجات للقضاء على الفكر الجهادي في المجتمع المسلم، ومنها (ص ٣٠٥): حل الصراع الإسرائيلي الإسلامي، وإيجاد توافقات بين العرب وإسرائيل. ويقترح التقرير أيضًا تشجيع الأحزاب العلمانية في المجتمع المسلم مع اعترافه بعدم قبول المجتمع لهم، لذا يرى عدم ربط الديموقراطية بمفهوم العلمانية لأنه خيار (أي العلمانية) خاسر في المجتمعات المسلمة. وأنه يجب الحذر من كثير من الأحزاب المسلمة المعتدلة لأنه يمكن أن يكون فيها بعضًا من العناصر والقيم الجهادية.

ونتائج التقريرين وغيرها من مواقف اليمين الاستشراقي المتطرف تؤكد ما ذهب إليه " إدوارد سعيد" بكون الاستشراق هو " نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه" (سعيد، ١٩٩٥ ، ص ١٢٠). وأن الشرق هو مادة تشريحية لمباضع المستشرقين، وتصنيفهم بناء على المركزية الغربية، والاستعلاء الفكري، بكونهم مركز الكون الفكري، وبأن الشرق المسلم وجِد ليُدرس ويُشرح من قبل المستشرقين، ويتم تصنيفه إلى فئات، وتقويم تلك الفئات بناء على قربها أو بعدها من المركزية الفكرية الغربية ومن المصالح الخاصة بهم. وتقويمها. وهو منهج استشراقي قديم ورثه المستشرقون المعاصرون وأعطوا لأنفسهم الحق في توصيف المجتمعات المسلمة وتزكية بعضها وتجريم الآخر، وهذه الرؤية الاستشراقية لم تؤت أكلها عبر تاريخ الاستشراق الطويل، وذلك لأن طبيعة البشر تأبى فرض الحلول من الخارج، وتعده نوعًا من الاستعمار الثقافي المرفوض، أو نوعًا من الهيمنة الغربية. فعلى سبيل المثال: عبر تاريخ الإستشراق الطويل حاول المستشرقون دعم الاتجاهات والأحزاب الصوفية في العالم الإسلامي ظنًا منهم أن طبيعة التصوف المسالمة تسهل لهم الهيمنة على الشرق المسلم، وبالتالي تضمن لهم سلامة مصالحهم السياسية والتجارية في الشرق. فالاستعمار الفرنسي دعم الصوفية القادرية في تونس، ودعم الطريقة الصوفية (البريولية) في الهند، ودعم الطريقة التيجانية في الجزائر، والقاسم المشترك بين تلك الطرق هي إصدار الفتوى لأتباعها بعدم جواز مقاومة المحتل. وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (الغامدي، ١٤٣٤هـ) استضاف برنامج الأمن الدولي عام ٢٠٠٣ م مؤتمرًا لاكتشاف الدور الذي يمكن أن يقوم به التصوف ضمن أهداف السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، زكان من توصيات المؤتمر الآتي: تشجيع ودعم القيم الصوفية مع قيم المجتمع المدني في المعاهد العلمية، وإسداء النصح للعديد من دول أسيا الوسطى وحثها على التأقلم مع

موقف الانفتاح نحو إعادة إحياء الصوفية وخاصة الطريقة النقشبندية، وتشجيع زيارة الأضرحة والمقامات ونشر ثقافتها في الدول الإسلامية.

ورغم تلك المحاولات الاستشراقية القديمة والحديثة لدعم نشر التصوف ليكون له مواقف سياسية في المجتمعات المسلمة، فإن الواقع يشهد أن التمثيل السياسي للصوفيين ضعيف في البرلمانات العربية أو الإسلامية، وأن تشكيل أحزاب سياسية على خلفيات صوفية قليلة وضعيفة التأثير. مما يؤكد أن محاولات الدعم الخارجي لفئات داخل المجتمع المسلم على حساب قناعات الفئات الأخرى محاولات يائسة.

وكان حري بالغرب أن يبني علاقته بالشرق المسلم كشريك وليس كمادة بحثية يتم تشريحها وتوصيفها وتقويمها وفق المفاهيم الغربية، وأن يتم إزالة عناصر التوتر بين الغرب والشرق المسلم سيما الاحتلال الصهيوني لقبلة المسلمين وغيرها من المظالم الأخرى، وألا تُعمم الصور المتطرفة لممارسات بعض المسلمين على السواد الأعظم منهم، وعلى الإسلام نفسه.

وحري بالمجتمعات المسلمة أن تبادر لقيادة عناصر القوة فيها، وتوجيهها نحو التوحد والاجتماع، ونبذ الفرقة والتشرذم، والبحث عن القواسم المشتركة بينهم، والعمل عليها وعلى تنمية مجتمعاتهم، وتعزيز القيم الإسلامية والإنسانية النبيلة في مكونات المجتمع.

النتائج:

١.أن الظاهرة الاستشراقية عبر تاريخها الطويل لم تنفك من جدلية أو معادلة السلطة والمعرفة، أي زيادة المعرفة عن الشرق بهدف الهيمنة عليه، وإن اختلفت الأدوات والمناهج والأساليب.
٢.تغير مسمى الاستشراق بأسماء أخرى لم يكن له الأثر الكبير في تغيير الخلفيات الاستشراقية أو الموروث القديم.
٣.مرت الظاهرة الاستشراقية بحركة نقد كبيرة في التاريخ الحديث، أكدت نتائج البحوث لكثير من العلماء المسلمين الذين رفعوا لواء الرد على المستشرقين القدماء.
٤.الظاهرة الاستشراقية تمثل فرصة جيدة للمراجعة الفكر الإسلامي، وتقويمه، وتنقيحه.
٥.مازال الارتباط بين الاستشراق والدوائر السياسية سائدًا إلى الآن في الظاهرة الاستشراقية.
٦.عدم دقة كثير من تنبؤات المستشرقين حول الشرق المسلم.
٧.دراسة الظاهرة الإستشراقية في العصر الحالي يسهم في تفسير كثير من الممارسات السياسية والعسكرية والاقتصادية للقوى الغربية تجاه الشرق المسلم.
٨.من أبرز ملامح الاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر تبني الدوائر السياسية لنتائج بحوث المستشرقين المعاصرين، ودمجها في القرارات العسكرية والأمنية.
٩.الرغبة في تفتيت المجتمعات الإسلامية تمثل ملمحًا مهمًا للاستشراق الحديث.

التوصيات:

من خلال النتائج السابقة يرى الباحث أهمية النظر في التوصيات الآتية:

١.أهمية استكمال دائرة البحث في الملامح المميزة للاستشراق بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعلاقتها بأحداث المنطقة العربية والإسلامية.
٢.مد جسور التواصل مع الأصوات المعتدلة من المستشرقين المعاصرين، ونشر بحوثهم، ومناهجهم في التعامل مع الشرق المسلم.
٣.الخروج من دائرة الاتهامات الغربية المتمثلة بالتطرف والإرهاب وعجز الإبداع، إلى البناء والتنمية للمجتمعات المسلمة.
٤.استحداث أقسام أو مراكز أو وحدات في الجامعات العربية والإسلامية لدراسة النتاج الغربي حول المجتمعات المسلمة.
٥.توسيع دائرة النشر لما يكتب من قبل الباحثين المسلمين حول الاستشراق قديمًا وحديثًا.
٦.الاستفادة من النتاج الاستشراقي المعتدل، الذي يمثل فرصة جيدة لنقد الفكر العربي والإسلامي عبر تاريخه الطويل.

قائمة المراجع

المراجع العربية:

١.اصطيف، عبد النبي. (٢٠٠١م). نحو استشراق جديد. مجلة الاجتهاد. العدد: ٥٠، ٥١، السنة الثالثة عشرة. دار الاجتهاد. بيروت.
٢.السيد، رضوان. (٢٠٠٤م). الصراع على الإسلام: الأصولية والإصلاح والسياسات الدولية. دار الكتاب العربي. بيروت. ط١
٣.الغامدي، صالح (١٤٣٤هـ). الإسلام الذي يريده الغرب: دراسة في وثيقة أمريكية. مركز الفكر المعاصر. الرياض. ط٢.
٤.النملة، علي. (١٤١٣هـ). مصادر الاستشراق والمستشرقين. استقراء للمواقف. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض.
٥.الوهيبي، عبد الله (١٤٣٥هـ). حول الاستشراق الجديد: مقدمات أولية. مركز البحوث والدراسات. البيان.
٦.باتاي، رفائيل. العقل العربي. ترجمة: علي الحارس. شبكة عراق المستقبل: http://www.noorsa.net/files/file/al٢٠٣%kl٢٠%al٢٠٣%raby.pdf
٧.بدوي، عبد الرحمن (١٩٩٣م). موسوعة المستشرقين. دار العلم للملايين. بيروت. لبنان. ط٣
٨.بوديار، جان. وآخرون (٢٠٠٣م). ذهنية الإرهاب: لماذا يقاتلون بموتهم. ترجمة: بسام حجار. المركز الثقافي العربي. بيروت. ط١
٩.جحا، ميشيل(١٩٨٢م). الدراسات العربية والإسلامية في أوربا. معهد الإنماء العربي. بيروت
١٠.حسن، محمد. (١٤٢٤هـ). أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط١.
١١.حميش، بن سالم. (٢٠١١م). العرب والإسلام في مرايا الاستشراق. دار الشروق. مصر. ط١.
١٢.ديورانت، جيمس. (١٩٨٨م). قصة الحضارة. ترجمة: زكي نجيب محمود. دار الجيل. بيروت.
١٣.ساسي، الحاج. (٢٠٠٢م). نقد الخطاب الاسشراقي. دار المداد الإسلامي. بيروت. لبنان. ط١.
١٤.سعيد، إدوارد. (٢٠٠٦م). الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة: محمد عناني. رؤية.
١٥.شيهي، ستيفن. (٢٠١٢ م). الإسلاموفوبيا: الحملة الإيدلوجية ضد الإسلام. ترجمة: فاطمة نصر. السطور الجديدة: www.Sutour2.com .
١٦.عقيقي، نجيب. (١٩٦١ م). المستشرقون. دار المعارف. مصر.

١٧.علي، جواد (١٩٦١م). تاريخ العرب قبل الإسلام. مطبعة الزعيم. بغداد.
١٨.لوكمان، زكاري (٢٠٠٧م). تاريخ الاستشراق وسياسته: الصراع على تفسير الشرق الأوسط. دار الشروق. مصر. ط١.
١٩.لويس، برنارد (٢٠١٣ م). أزمة الإسلام: الحرب الأقدس والإرهاب المدنس. ترجمة حازم مالك محسن. نحو فكر حضاري متجدد. دمشق. ط١.
٢٠.لويس، برنارد (٢٠١٧ م). مقال: مسألة الاستشراق. ترجمة: عبد الباسط منادي ادريسي. مؤسسة مؤمنون بلا حدود: WWW.Mominoun.com
٢١.ليتل، دوجلاس. (٢٠٠٩م). الاستشراق الأمريكي: الولايات المتحدة والشرق الأوسط منذ ١٩٤٥ م. المركز القومي للترجمة. مصر. ط.
٢٢.مووس، أوليفيه. (٢٠١٠م). تيار الاستشراق الجديد والإسلام: من الشرق الشيوعي إلى الشرق الإسلامي. مكتبة الإسكندرية. مصر.
٢٣.وزان، عدنان. (١٤٠٤هـ). الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر. سلسلة دعوة الحق، عدد: ٢٤. رابطة الألم الإسلامي. مكة.

المراجع الأجنبية:

1.Aaron. David. (2008). In Their Own Words: Voices of Jihad. RAND Corporation: https://www.rand.org/pubs/monographs/MG602.html
2.Benard, Cheryl. (2003). Civil Democratic Islam Partners, resources, strategies. RAND Corporation: https://www.rand.org/pubs/monograph_reports/MR1716.html
3.Kramer, martin (2001). Ivory Towers on Sand. The Washington for near east policy. USA.
4.Thomas, Freidman. (1990م). THE WORLD; A Dreamlike Landscape, a Dreamlike Reality. The New York Times. OCT. 28, 1990